صورة الرجل في شعر نـزار قبـانـي

طالبة الدراسات العليا: هبة فاخوري
كلية الآداب والعلوم الإنسانية – جامعة البعث
إشراف: أ.د جودت إبراهيم

الملخص

الرجولة مفهوم عام وواسع ، وهو مفهوم مكتسب من الثقافات السائدة في المجتمعات على اختلاف عاداتها وتقاليدها ، ويمكن أن نعده وجهاً من القضية الكبرى التي هي الحياة ، وانطلاقاً من أهمية هذا المفهوم ودوره في الحياة، كان لا بد للأدب أن يدرس الرجل ، ويخصّه بنصوص وقصائد متعددة مليئة بالنقد مرة ، والحب والتقدير مرة أخرى، وقد اخترنا أشعار الشاعر المعاصر "نزار قباني" لتكون حقلاً تجريبيّاً لهذه الدراسة، ذلك أنّ الشاعر" نزار قباني" قد نظر إلى الرجل الشرقي في ضوء المجتمع الشرقي نظرة الناقد ، ليكون موضوعاً ساخناً صهره في بوتقة نقده شعراً ونثراً، وكما أنّ صورة هذا الرجل كانت دوماً جزءاً أساسيّاً من عقله ، وكانت تفرض نفسها في معرض حديثه عن أي موضوع كان ، سواء عن المرأة، أم السياسة أم أيّ موضوع من الموضوعات التي عرض لها شعره، وقد تعددت صور الرجل في شعر "نزار"، وقام بعرضها في لوحات مختلفة ، ومواقف متنوعة وضحت مفرداتها تفاصيل هذا الرجل بطريقة جريئة ومثيرة للمشاعر والأحاسيس ، وسندرس عدداً من هذه الصور كما وردت في قصائده.

The point of view of Nizar Qabbani in the image of manhood

abstract

Manhood is a universal and great concept. It is an acquired concept from other prevalent cultures in our societies in different habits and traditions , we may consider it a very important thing in a big issue which is life , and from this important point and its role in life.

Literature had to study the Man .He mentions him in his multi texts and multi poems that is full of criticism in one hand, and love and appreciation in other hand.And we choose the poems of Nezar Qabbani to be experimental ground to this study . However, the poet Nezar Qabbani has seen to an Eastern Man in the light of social Eastern point of view which is critical , to be an important object which Nezar is placing within the context of his critical poem and novel.

The image of this Man was always an important part of Nezar's mind , It emposed itself in his speech in any subject , either about woman ,policy , or any subject of the subjects that his poem was shown. There were many images of Man in Nezar's poem, he showed it in many pictures, many attitudes . Its detailed vocabularies became clear in this Man in bold way and provoked feelings and sensations ,we will study some of these images as saying in his poetries>

المقدمة:

أسباب اختيار البحث:

نزار قباني شاعر غزير الإنتاج وعميق التجربة ،حلّق في سماء زمانه الذي يعيش فيه ، ونظر في أعماقه، مُعتبراً مما مضى، وآخذاً بأطراف ما يُستقبل ، فجاء شعره غنيّاً يتّسم بالتميّز والاستثناء ، وهذا يعود إلى ما عرضه شعره من قضايا ، وإلى الإشكاليات التي أُثيرت حول هذه القضايا كما تناولها في قصائده، فكان هذا البحث محاولة جادة دعت إلى دراسة صورة الرجل في شعر نزار قباني، وعرض الجديد الذي أضافه شعره إلى هذه الصورة كما وردت في قصائده.

أهداف البحث:

وقع اختيارنا على هذا البحث في محاولة منا أن نعطي صورة حيّة صادقة عن شعر نزار قباني قدر المستطاع، فعلى الرغم من اهتمام نزار بالمرأة إلا أنّه أولى الرجل عناية واضحة فصوره من جهات عديدة انطلاقاً من علاقته بالمرأة والمجتمع ، ومن هنا جاءت هذه الدراسة لتقدّم للدراسات النقديّة الأخرى بعض الفائدة، فهي تبحث في طرق تجليات صورة الرجل في شعر شاعر حظي بوافر من الدراسات الأدبية المختلفة وكان قريباً من حياة المتلقي اليومية بكل تفاصيلها.

منهج البحث:

لتحقيق الهدف المرجوّ من هذه الدراسة اعتمدنا معطيات التأويل لاعتقادنا أنها الأكثر قدرة على مساعدتنا فيما نحن بصدده.

مصطلحات البحث:

الرجل في اللغة: (مختص بالذكر من الناس، والجمع رجال، وقد يكون الرجل صفة، يعني بذلك الشدة والكمال)[1].

والرجل اصطلاحاً: (اسم الرجل شرعاً موضوع للذات في صنف الذكور من غير اعتبار مجاوزة حدّ الصّغر ، أو القدرة على المجامعة، أو غير ذلك، فيتناول كل ذكر من بني آدم)[1]

[1] ابن منظور، جمال الدين محمد بن مكرم، لسان العرب، مج1، دار لسان العرب، بيروت، د.ط، د.ت، مادة:رجل

والرجولة اصطلاحاً: اتصاف المرء بما يتصف به الرجل عادة)[2]، وقد جمعها طه حسين في عنترة بقوله : **(في عنترة معنى الرجولة العربية الكاملة، فهو رقيق دون أن تنتهي به الرقة إلى الضعف، وهو شديد دون أن تنتهي به الشدة إلى العنف.....)**[3]

والبطل لغة: (هو الشّجاع، ورجل بطل بين البَطالة والبطولة شجاع تَبطُل جراحته فلا يكترث لها ولا تَبطُل نجادته)[4]

والبطل اصطلاحاً : (يساوي الفكرة، ويعني سرديّاً البطل الذي يروي قصة، ويقابل البطل في الاصطلاح السيميائي الفاعل، ولا يصبح البطل بطلاً إلا إذا امتلك كفاءة خاصة)[5]

أما النرجسيّة في اللغة: (هي شذوذ جنسي فيه يشتهي المرء ذاته)[6].

وهي في **الاصطلاح:**(الإعجاب المفرط بالذات، والولعُ بالذات والأنا المتضخمة لهما شواهد كثيرة في التاريخ مثل نيرون، ويوليوس قيصر، وتشير النّرجسية في التحليل النفسي إلى الاستثارة الجنسية النابعة من إعجاب المرء بنفسه)[7]

الدراسات السابقة:

الدراسات النقدية التي تناولت الشاعر نزار قباني كثيرة ومتنوعة، وسوف نعرّج في بحثنا هذا على أهم الدراسات التي استطاعت هذه الدراسة الإفادة منها بشكل أو بآخر، ومن أهمها مرتبة زمنيّاً من الأقدم إلى الأحدث :

دراسة بعنوان **"نزار قباني شاعراً وإنساناً"**[8] **"محي الدين صبحي" 1964**، وفيه يدرس فيه "نزاراً "من الناحية الإنسانية، وقد اقتصرت دراسته على شعر الشاعر قبل نكسة حزيران.

---

[1] الكفوي، أبو البقاء أيوب بن موسى الحسيني، الكليات معجم في المصطلحات والفروق اللغوية، تح. عدنان درويش، ومحمد المصري، مؤسسة الرسالة، بيروت، د.ط، 1998، ج1، ص: 393

[2] ابن حمبد، صالح بن عبدالله، وابن ملوح، عبد الرحمن بن محمد، نضرة النعيم في مكارم أخلاق الرسول الكريم، دار الوسيلة، السعودية، ط1، 1998،ج1، ص: 2041

[3] حسين، طه، من تاريخ الأدب العربي، العصر الجاهلي والعصر الإسلامي، دار العلم للملايين، بيروت، ط1، 1970،ص: 440

[4] ابن منظور، لسان العرب، مج1، مادة بطل

[7] علوش، سعيد، معجم المصطلحات الأدبية المعاصرة، دار الكتاب اللبناني بيروت، ط1، 1985، ص: 50

[6] ينظر المعجم الوسيط، مجمع اللغة العربية ، القاهرة، ط3، 1993، مادة نرجس

[7] فتحي، إبراهيم، معجم المصطلحات الأدبية، التعاضدية العمالية للطباعة والنشر، تونس،د.ط، د.ت، ص: 367

[8] صبحي، محي الدين، نزار قباني شاعراً وإنساناً، دار الآداب، بيروت، ط1، 1964

ودراسة بعنوان " **فنون الأدب المعاصر في سورية**" "**عمر الدقاق**"[1] **1971**،يعرض فيها "الدقاق "ترجمة "لنزار قباني"، ويتحدّث عن تميّزه، وآراء النّقاد حوله.

ودراسة بعنوان " **نزار قباني شاعر المرأة**[2]" **إيليّا الحاوي 1973** ، وفيها يرى الحاوي أنّ الوصفيّة في شعر نزار تغلب الذّهنيّة، وهي وصفيّة تدل من وجهة نظر الحاوي على قصور الشاعر.

ودراسة بعنوان "**الشعر بين الرؤيا والتشكيل**[3]" "**عبد العزيز المقالح**" **1981**، يرصد "المقالح" فيه الشعر العربي الحديث ، وتجارب الشعراء المجددين في الوطن العربي ،ومن بينهم الشاعر "نزار قباني".

ودراسة بعنوان "**النرجسية في أدب نزار قباني**[4]" "**خريستو نجم**" **1983**، وفيها يفسر "نجم" ما قاله "نزار قباني" من شعر تفسيراً ينبعث من نرجسيّته، التي تولّد نوازع نفسية كثيرة ومعقّدة.

ودراسة بعنوان "**الضوء واللعبة** [5]" "**شاكر النابلسي**" **1986**سلط فيها الضوء على لغة "نزار قباني"، ووجد فيها أنّ لغته هي لغة الجسد والشهوة فقط.

ودراسة بعنوان "**ثلاثون عاماً مع الشعر والشعراء**[6]" **رجاء النقاش 1992**، وهذا الكتاب يتحدث عن نزار قباني فيما يتعلق بقصائده السياسية، وعن علاقته بزعماء عصره.

ودراسة بعنوان "**نزار شاعراً وسياسياً** [7]"**عبد الرحمن الوصيفي1995**، وفيه يدرس الوصيفي شعر نزار قباني السياسي، ومواكبته للصراع العربي الإسرائيلي، وتطلّعه للحرية واستعادة الكرامة.

دراسة أخرى بعنوان **أساليب الشعرية المعاصرة**[8] **صلاح فضل 1998**، يرى فيها الدكتور صلاح أنّ لغة نزار هي لغة حسيّة في المقام الأول.

---

[1] الدقاق، عمر، فنون الأدب المعاصر في سورية، دار الشرق، سورية، ط1، 1971

[2] الحاوي، إيليا،نزار قباني شاعر المرأة، دار الكتاب اللبناني، بيروت ج1،ط1، 1973

[3] المقالح ، عبد العزيز ، الشعر بين الرؤيا والتشكيل ، دار طلاس ، دمشق ، ط1 ، 1981

[4] نجم، خريستو، النرجسية في أدب نزار قباني، دار الرائد العربي، بيروت، 1983

[5] النابلسي، شاكر، الضوء واللعبة، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، ط1، 1986

[6] النقاش، رجاء، ثلاثون عاماً مع الشعر والشعراء، دار سعاد الصباح، الكويت، ط1، 1992

[7] الوصيفي، عبد الرحمن، نزار شاعراً وسياسيّاً، دار الحريري للطباعة، القاهرة، ط1، 1995

[8] فضل، صلاح، أساليب الشعرية المعاصرة، دار قباء، مصر، ط2، 1998

ودراسة بعنوان "**نزار قباني شاعر لكل الأجيال** [1]" **مجموعة من المؤلفين 1998**، وهو كتاب يضم عدداً من الشهادات، والدراسات عن نزار قباني، والصادرة عن عدد من الشعراء والباحثين والمثقفين، تكريماً له.

دراسة بعنوان "**نزار قباني رحلة الشعر والحياة**[2]" **ديب علي حسن**، سلطت هذه الدراسة الضوء على حياة الشاعر نزار قباني، ونشأته، وعلاقته بعصره، وعلاقة النقاد والأدباء بأدبه..

وهناك دراسة بعنوان "**شعرية المرأة وأنوثة القصيدة قراءة في شعر نزار قباني**[3]" "**أحمد حيدوش**"2001، حاول فيها فهم موقفه من المرأة والقصيدة، وقد تناول "حيدوش" فيها تجربة "نزار قباني" في ضوء النقد والتحليل.

ودراسة بعنوان "**نزار قباني شاعر الحب والوطن**[4] " "**مازن النقيب**" **2002**، تناول فيها "النقيب" العديد من قصائد "نزار"، ويكشف بعد التحليل والمراجعة عن تحولات شعره، وعمق ارتباطه بالأرض والإنسان.

ودراسة بعنوان "**نزار قباني ثورة وحرية**[5]" "**جوزيف الخوري طوق**"**2005**، وهي دراسة في عشرة أجزاء، تضم مجموعة من الشهادات ، بأقلام عدد من الباحثين والمثقفين عن "نزار قباني".

ودراسة بعنوان " **قراءة النص الشعري لغة وتشكيلاً – نزار قباني نموذجاً تطبيقياً–**[6]" "**هايل الطالب**" **2008**، وهي دراسة لسانية للغة "نزار قباني" الشعرية.

ودراسة أخرى بعنوان "**أيام مع نزار قباني**[1]" "**غريد الشيخ**" **2012**، وفيها ترسم الكاتبة للقارئ العادي ملامح شخصية "نزار قباني" وشعره، وفق طابع قصصي بسيط ، مُفعم بالمودة والحس الواقعي الذكي.

---

[1] مجموعة من المؤلفين، نزار قباني شاعر لكل الأجيال، إشراف سعاد الصباح، إعداد وتحرير محمد يوسف نجم، دار سعاد الصباح للنشر والتوزيع، الكويت، ط1، 1998

[2] حسن، ديب علي، نزار قباني رحلة الشعر والحياة، بيروت، المنارة، ط1، 2000

[3] حيدوش، أحمد، شعرية المرأة وأنوثة القصيدة قراءة في شعر نزار قباني ، منشورات اتحاد الكتاب العرب، دمشق، 2001

[4] النقيب، مازن، نزار قباني ساعر الحب والوطن، دار حازم للطباعة والنشر، ط1، 2002

[5] طوق، جوزيف الخوري، نزار قباني ثورة وحرية، دار نوبلس، بيروت، لبنان، ط2، 2005

[6] الطالب، محمد هايل، قراءة النص الشعري لغة وتشكيلاً، نزار قباني نموذجاً تطبيقياً، دار الينابيع، دمشق، ط2، 2008

ودراسة أخرى بعنوان "**التّناص والتّلاص في الشعر العربي الحديث والمعاصر**[2]" "**جودت إبراهيم**"**2015** ، وقد قدم هذا الكتاب تغطية شاملة لمفهوم التناص وتطبيقاته في الشعر العربي المعاصر على مدى الساحة الأدبية العربية خلال قرن ونيّف من الزمن، ومن الشعراء الذين دُرِسَت أشعارهم كنماذج في هذا الكتاب كان الشاعر نزار قباني.

أما هذا البحث فهو يحاول تسليط الضوء على الرجل العربي في ظلّ مجتمع يعاني من ظروف ومشاكل اجتماعية وسياسية، فيلج إلى صميم نفس هذا الرجل، محاولاً نزع غطائها عنها، مبيّناً دور المجتمع والظروف في صنع نماذج من الرجال ،قامت بدور كبيرً في حياتنا انطلاقاً من دور لها إيجابي كان أو سلبي.

مفهوم الرجولة في الأدب العربي

يوصف المجتمع العربي بكونه مجتمعاً ذكوريّاً يعزز مفهوم الرجولة ،التي تجمع عامة كل صفات الشرف، وفقاً لاعتبارات تركز مكانة الرجل في الأسرة والمجتمع، وانطلاقاً من كون الأديب ابن هذا المجتمع وجب دراسة تجليات صورة الرجل في الأدب .

. فلطالما كان الأدب (فعلاً إبداعياً يقوم به مبدع في مجتمع من المجتمعات مستخدماً لغة ذلك المجتمع مادة لإبداعه ، لتنتج عن ذلك آثار مكتوبة لها خصائص الإبداع من فكر وصياغة وتنظيم وتصوير للمجتمع وتعبير عن تجربة المبدع الشخصية)[3].

وقد تناول الأدباء على مر العصور صورة الرجل في أدبهم وتعاملوا معها وفقاً لمعطيات ظروفهم وواقعهم، فتحدثوا في العصور القديمة عن الرجل المعشوق جامعين بين العشق والدين لما للدين وتعاليمه من أهمية في حياتهم آنذاك كقول **الشاعرة العباسية "دنانير"** عندما دخل "أبو الشعثاء" إلى دار مولاها "ابن كناسة" يستمع إلى غنائها ويعرض هواه لها :

لأبي الشعثاءَ حبٌ كامنٌ ليسَ فيه نَهضَةٌ لمتّهمْ
زارني منهُ كلامٌ صائبٌ و وسيلاتٌ المحبّينَ الكَلِمْ
صائدٌ تأمَنُهُ غزلانُهُ مثلَ ما تأمنُ غزلانُ الحَرمْ

[1] الشيخ، غريد، أيام مع نزار قباني، النخبة للتأليف والترجمة والنشر، بيروت، لبنان، 2012
[2] إبراهيم، جودت، التناص والتلاص في الشعر العربي الحديث والمعاصر، حمص، ط1، 2015
[3] إبراهيم ، جودت ، نظرية الأدب والمتغيرات ، الناشر الدكتور جودت إبراهيم ،حمص ، ط1 ،1996 ، ص: 63

ثمّ ميعادُكَ يومَ الحَشْرِ في جنّةِ الخلدَ إنْ اللهُ رَحِمْ[1]

كما تغنّى القدماء بالرجل الكريم الذي يجود ويعطي دون مقابل، وهذه الخصلة موجودة عند العرب منذ القديم ، إذ كانوا يكرمون الضيف من دون خوف أو إكراه ، وقد أحبت المرأة هذه الخصلة عند الرجل ، فكَرمُهُ أشْعَرَها بقيمة ذاتها ، وقد عبرت الشاعرة "**حسانة التميمية**" عن صورة الكرم عند الرجل، مصورة جود ممدوحها الأمير "عبد الرحمن الثاني" في قولها :

إلى ذي النّدى والمجد ساربتْ رَكائبي على شحَطٍ تُصلى بنارِ الهَواجِرِ[2]

وقد تناول الشعر العربي الصفات السلبية للرجل كالاستبداد والبخل وغيرها، ومن أهم ما صوره الشعر العربي الخيانة باعتبارها عملاً شائناً ، فذمّت المرأة الرجل الخائن الذي ينعدم لديه الوفاء والإخلاص لمن يحب ، وقد عبرت عن هذه الحالة الشاعرة الأندلسية "**ولادة بنت المستكفي**" عندما صورت لوعتها في حبيبها "ابن زيدون" الذي اختارته من بين رجال منتداها ، فشعرت أنه يغتنم فرصة انشغالها، فيميل إلى جاريتها "عتبة "،ليتجاذب معها أطراف حديث ممتع قائلة :

لو كنتَ تنصفُ في الهوى ما بيننا لم تهوَ جاريتي ولم تتخيّرِ

و تركتَ غُصناً مثمراً بجماله وجنحْتَ للغصن الذي لم يُثمِرِ[3]

وإذا ما ذكرنا العصر الحديث تراود إلى أذهاننا عدد من الشعراء الذين عرضوا صور الرجل في أشعارهم ، ولعل أهم من عرض لهذه الصور كان الشاعر نزار قباني، وذلك لملازمة صورة الرجل لعقله منذ ولادة شعره، و لشدة اهتمامه بقضية المرأة ورفعه لواء المطالبة بحقوقها وحريتها ، والرجل هو الجانب الذي يؤثر مباشرة في هذه القضية ، لذلك كان لا بد للشاعر من عرضه والتفصيل فيه ،حتى يستطيع الوصول إلى هدفه في الدفاع عن هذه المرأة بالطريقة الأنسب .

---

[1] الأصفهاني ، أبو الفرج ' الأغاني ، دار طلاس للدراسات والترجمة والنشر ، دمشق ، ج13 ، تصح: الشيخ عبدالله العلايلي ، د.ط ، د.ت ، ص :242

[2] المقري ، أحمد بن محمد التلمساني ، نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب ، تح: إحسان عباس ، دار صادر ، بيروت، ج5 ، 1968، ص : 300

[3] الكتبي ، محمد بن شاكر بن أحمد ، فوات الوفيات ، تح :إحسان عباس ، دار الثقافة، بيروت، ج4، 1981 ، ص: 251

الرجل النرجسي:

(تعرف النرجسية بأنها الإحساس بالعظمة وبأهمية الذّات أو التّفرد ، والانشغال بأوهام النجاح غير المحدود والحاجات الاستعراضية لجلب الاهتمام والإعجاب الدائم)[1] ومن هنا تولّد لدى الشخص النرجسي شعور كبير بأهميته في المجتمع ، وفي حياة الآخرين ، لذلك فهو دائماً يطلب الإطراء ، ويبالغ في تقدير مواهبه وإنجازاته ،(فالفرد في كثير من الأحيان يميل إلى معرفة وتأكيد ذاته بدافع من الحاجة إلى التقدير و الاعتراف وإظهار السلطة على الغير)[2] ، وعندما يتعالى في معرفة ذاته وتقديرها يصل إلى ما يسمى النرجسية، وقد ظهرت ملامح النرجسية كثيراً في أشعار" نزار" لأنه الشاعر الوحيد الذي عُدّ بحقّ شاعر المرأة، فحمل على ظهره عبء قضاياها إضافة إلى كون صورة الرجل ملازمة له منذ وعيه ، وإذا ما قرأنا قصيدة "**حب 1994** "من ديوان "**خمسون عاماً في مديح النساء**" تطالعنا هذه الإشكالية منذ الابتداء بهذا الاعتراف (تزداد نرجسيتي)،إذ يزداد حب الرجل لذاته ، ويتفاقم شعوره بالعظمة عند رؤيته لأثر دروسه في الحب تثمر في المرأة ، يقول:

تزدادُ نرجسيّتي
كلّما رأيتُ دروسَ الحبِّ التي قرأتُها عليكِ
مطبوعةً على مرايا جسدكِ..
يزدادُ كبريائي
كلما شعرتُ أنّ التي كانتْ تلميذتي
في أوّلِ السّنة الدّراسيةِ
أصبحتْ أُستاذتي..[3]

فهو منذ البداية محبّ لذاته، ومعتدٌّ بها، ويزداد إعجابه بها عندما يلمس ما أحدثه من تغيير في هذه المرأة، لتظهر نرجسيته هنا من خلال شعوره بالعظمة وأهمية الذات ،

[1] صالح، مأمون، الشخصية وبناؤها وتكوينها وأنماطها واضطرابها، دار أسامة للنشر، بيروت، د.ط، 2008،ص:55

[2] نعامة ، سليم ، علم النفس في ميادين العمل والإنتاج ، دار أضواء النضال العربي ، طرابلس ، لبنان ، د.ط ، د.ت ، ص: 31

[33] قباني ، نزار ،الأعمال الشعرية الكاملة ، ج 9 ،منشورات نزار قباني، بيروت،ط1، 2002 ص: 404

وتفاخره بإنجازه الذي نقل هذه المرأة من تلميذة في الحب إلى أستاذة فيه ، فكانت هذه الذات المهمة تستحق الأفضل ،كما تستحق الارتباط بالأشخاص المهمين الذين صنعتهم بإنجازاتها .

وهاهو هذا الرجل في موضع آخر يتفاخر بعظمة صنيعه في الحب ، ويؤكد أنه هو من صنع جمهورية للحب ، وأن المرأة قبله لم تكن تجيد لغة العشق، فهو من علمها أن تتكلم بهذه اللغة حتى أتقن نهدها حروفها ومفرداتها، يقول في قصيدة بعنوان "**أنت لولا الشعر ما كنت بتاريخ النساء**" من ديوان "**تنويعات نزارية على مقام العشق**":

لم أزلْ من ألفِ عامْ
لم أزلْ أكتبُ للناسِ دساتيَر الغرامْ
وأغنّي للجميلاتِ
على ألف مقامٍ ومقامْ
أنا من أسَّس جمهوريةً للحبِ
لا يسكنُها إلا الحمامْ
كنتِ يا سيدتي خرساءَ قبلي
وبفَضلي
صارَ نهداكِ يجيدانِ الكلامْ[1]

ومن ثم يؤكد الرجل مرة أخرى أنه سبب وجود هذه المرأة ، وأنه من علمها الحب وإذا ما تخلى عنها فيه فلن يكون لها أي أهمية أو وجود ، ليظهر نرجسياً لشعوره بأهمية إنجازاته في حقول هذه المرأة ، فهو الذي ينبت فيها أزهار الياسمين ، يقول في قصيدة بعنوان "**أنا من جعلتك ست النساء**" من ديوان "**تنويعات نزارية على مقام العشق**" :

إذا ما رفعتُ يدي
عن قميصِكِ يوماً
فلنْ تعرفي أبداً موسمَ الياسمين[2]

[1] المصدر السابق ، ص : 555
[2] المصدر السابق ، ص: 672

وهذا الرجل النرجسي يؤكد دوماً عدم قدرته على الاستمرار مع معشوقة واحدة ، فهو لا يستطيع الاكتفاء بعلاقة واحدة لأن تفخيمه لنفسه يجعله يرغب دوماً بامرأة جديدة تُشعره بأهمية ذاته ، ونزار يصور لنا هذا الرجل غير قادر على عدد زائراته مُشبهاً نفسه بالبحر الذي لا يعرف عدد موانئه ، فلا يرضيه امرأة واحدة ، ويسعى دوماً إلى العلاقات العابرة قصيرة المدى ، والخاضعة للشروط التي يضعها هو ، فالدافع الوحيد لدخوله العلاقة العاطفية هو محاولة إيجاد شخص يملأ الفراغ بداخله ، ويكون متاحاً دوماً عندما يحتاجه ، يقول في قصيدة في "**الحب البحري**" من ديوان "**كل عام وأنت حبيبتي**" :

مواقفي منكِ ، كمواقفِ البحرْ
وذاكرتي مائيةٌ كذاكرتهِ
لا هو يعرفُ أسماءَ مرافئهْ
ولا أنا أتذكرُ أسماءَ زائراتِي
كلُّ نهدٍ يسْقطُ كالليرةِ الذّهبيّهْ
على رمالِ جَسدي ... يذوبْ..
فلتكنْ لكِ حِكْمةُ السفنِ الفينيقيهْ
وواقعيّةُ المرافِئ التي لا تتزوجُ أحدا[1]

والشخص النرجسي يقوم بكل ما يقوم به من تصرفات ليرضي ذاته وليجذب الطرف الآخر ، وقد يسعى الطرف الآخر في كثير من الأحيان إلى بذل أقصى طاقاته في محاولة لتغيير صاحب الشخصية النرجسية ، لكنه يصاب بخيبة أمل في نهاية المطاف لعدم قدرته على ذلك ، ويرسم لنا نزار ملامح هذه الشخصية في قوله في قصيدة **الزيارة** من ديوان **الأوراق السرية لعاشق قرمطي**[2]:

[1] قباني ، نزار ، الأعمال الشعرية الكاملة ، ج2 ،منشورات نزار قباني، بيروت، ط9، 2002 ص: 616
[2] القرمطي : مفرد قرامطة وهم فرقة إسماعيلية أقامت دولة إثر ثورة اجتماعية وسياسية ضد الدولة العباسية ، وأخذت طابعاً دينياً، ينظر: قرامطة _موسوعة ويكيبيديا ar.m.wikipedia.org

مِنْ أينَ دخلتِ؟

وكيفَ دخلتِ عليَّ؟

ووجهي ثلجيُّ التّعبيرِ ، كأيّ جدارْ

إنّي أتساءلُ :

كيفَ بوسعِ امرأةٍ مثلكِ

أن تسعى للقاءِ جدارْ[1]

فهذا الرجل بذلك يقتل للمرأة شرف المحاولة معه ،أو الرغبة في الثورة عليه و تغييره فيلومها على القدوم لزيارته ،فقد اعتاد الثورة، و برود جليد وجهه غير قابل للذوبان مهما كانت الإثارة التي تمتعت بها هذه المرأة .

وعندما نقرأ سطوره في قصيدة "**الرسم بالكلمات**" من ديوان يحمل العنوان نفسه نجد تفخيماً واضحاً لذاته، إذ يقول :

لا تطلُبي منّي حسابَ حياتي

إنّ الحديثَ يطولُ يا مَولاتي

كلُّ العصورِ أنا بها فكأنَّما

عُمري ملايينٌ مِنَ السّنواتِ

تعبَتْ من الَّسفرِ الطَّويلِ حَقائبي

وتعبْتُ من حِيَلي ومن غَزواتي

لمْ يبقَ نهدٌ أسودٌ أو أبيض

إلّا زرعْتُ بأرضهِ راياتي

لم يبقَ زاويةٌ بجسمِ جميلةٍ

إلا ومرَّتْ فوقَها عرباتي[2]

يحاول الرجل هنا أن ينسب العظمة إلى نفسه من خلال قدرته على الوصول إلى كل امرأة أرادها فحصل على رغباته منها، لتكون صلته بالمرأة وعلاقتها بها هنا وسيلة

[1] المصدر السابق ، ص: 35

[2] المصدر نفسه ، ص:464

لتعزيز ثقته بنفسه ، وهذه الذات النرجسية ما هي إلا واحدة من صنع العادات الجائرة المانعة للحب التي تجعل المرأة وسيلة لتحقيق الذات تحت لواء ما يسمى علاقة الحب . فالرجل حلل لنفسه الممنوعات ، واجتاز الخطوط الحمراء التي فرضها المجتمع ، مظهراً نرجسية وشهوانية غالبة ، ومعلناً رغبته في تحقيق ذاته من خلال حبه للمرأة، وها هو يعلن صراحة في قصيدة "**بلاغ شعري رقم واحد**" من ديوان "**أشعار خارجة عن القانون** "رغبته في تحقيق ذاته من خلال عشقه للمرأة قائلاً على لسان هذا الرجل:

ضعي يديكِ ، كنجمتينِ على يديّ

فأنا أحبك كي أدافع عن وجودي[1]

وبالتعمق في شخصية أخرى يرسمها لنا نزار في قصيدة بعنوان "**لا تحبيني**" من ديوان "**الرسم بالكلمات**" ، تظهر صورة الرجل الشرقي النرجسي في مجتمعنا الذي يفرض حضوره بوضوح في حياة المرأة ، فلا فرق عنده إن أحبته أم لم تفعل.، فهو يفرض حبّه أرادت ذلك أم لم تُرد، ويصنع من حبّه عزاءً لذاته النرجسية عند رفض المرأة له يقول:

هذا الهوى ما عادَ يُغريني

فلتستريحي ولتُريحيني

حبّي هو الدنيا بأجمعها

أما هواك فليسَ يَعنيني

ما همّني ما تَشعُرين به

إنّ افتكاري فيكِ يكفيني

عيناكِ من حُزني خَلقتُها

ما أنتِ ما عيناكِ من دوني

فمُكِ الصّغيرُ أدرْتُهُ بيدي

وزرعْتُه أزهارَ لَيمونِ

حتّى جَمالُكِ ليسَ يُذهلني

إنْ غابَ من حينٍ إلى حينِ

[1] قباني ، نزار ، الأعمال الشعرية الكاملة ، 2| 15

لا فرْقَ عندي يا مُعذّبتي

أحببْتني أم لمْ تُحبيني [1]

فالرجل هنا يهمش دور المرأة في الحب ، فهو من صنعها، ومن هنا تظهر نرجسيته النابعة من أعماق الرجل الشرقي، فلطالما ابتدأت علاقة الحب باعتراف وقبول من الرجل، وغالباً ما انتهت بإرادة منه ،وهذا ما عكسته شخصية الرجل الذي وصفه نزار هنا ، والنابعة من صميم المجتمع الشرقي الذكوري ،وكل هذا يصب في بحر العادات الجائرة ، ويتبع لهيمنة التقاليد الكابتة لصوت المرأة .

وبالنظر في قصيدة "**إلا معي**" من ديوان "**الرسم بالكلمات** " التي يقول فيها نزار :

ستذكُرينَ دائماً أصابعي

لو ألفَ عامٍ عِشْتِ يا عزيزتي

ستذكُرينَ دائماً أصابعي

فضاجعي من شِئْتِ أن تُضاجعي

ومارسي الحبَّ على أرصفةِ الشَّوارعِ

نامي مع الحُوذيّ , واللوطيّ

والإسْكافِ , والمُزارعِ

نامي مع المُلوكِ واللّصوصِ

والنُّسَّاكِ في الصّوامعِ

نامي مع النّساءِ – لا فرقَ –

مع الرّيحِ مع الزَّوابعِ

فلن تكوني امرأةً

إلّا معي .. إلّا معي [2]

تظهر هنا نرجسية الذكر الواضحة من خلال ثقته الكبيرة بقدرته على إرضاء الأنثى

[1] قباني ، نزار ، الأعمال الشعرية الكاملة ، 1|518

[2] قباني ، نزار ، الأعمال الشعرية الكاملة ، 1| 535

فتصوير الرجل لهذه العلاقة حسياً، ونقل تفاصيلها بدقّة ، ثم مطالبته للمرأة بتجربة العلاقة مع جميع الرجال ، لتكتشف أنها لن تكون أنثى إلا بين يديه ،دليل واضح على تفخيمه ذاته.

ونزار يعترف في كثير من الأحيان أنه نرجسي ولكن ليس بالمفهوم العام لهذه الكلمة ،إنما النرجسية عنده هو أن يستطيع الشاعر أن يؤمن بقدرته على تغيير مسار الكون عن طريق شعر، وهو أمر ذهب إليه "النقاش "عندما رأى أنّ(النرجسية الإيجابية تعني الاعتداد بالنفس والاعتزاز بها، ورفض كل شيء يمكن أن يتحول إلى قيد على شخصية الإنسان وحريته)[1]،أما عرفان نظام الدين فهو يصرّح بأنّه يحقّ لنزار أن يكون مغروراً ونرجسياً، لكنه ليس كذلك بل (كان واثقاً بنفسه وبقصائده وجمهوره، لكنّ البعض يفسّر الثقة الزائدة بالنفس، والإعجاب بها بأنها نرجسية، وليس كذلك نزار بل كان متواضعاً، وطيب القلب، ويتميز بالوفاء والصراحة)[2] ويؤكد نزار معنى النرجسية من وجهة نظره بقوله في قصيدة في" **النرجسية** " من ديوان :**لا غالب إلا الحب**"

النّرجِسيّةْ

هي أنْ يؤمِنَ الشَّاعرُ

بأنّ قصيدتهُ

هي نُقطةُ ارتكازِ الكُرةِ الأرضيّةْ[3]

وبعد أن عرضنا لصورة الرجل النرجسي في عدد من نماذج نزار قباني الشعرية ننتقل للحديث عن صورة أخرى من صور الرجل تبدّت في قصائد نزار قباني وهي صورة الرجل البطل.

[1] ينظر النقاش، رجاء، ثلاثون عاماً مع الشعر والشعراء، ص: 159

[2] نظام الدين، عرفان، نزار قباني كما عرفته، من كتاب نزار قباني شاعر لكل الأجيال، ج2، ص: 893

[3]قباني ، نزار ، الأعمال الشعرية الكاملة ، 1| 312

الرجل البطل :

ليس كثيراً على "نزار" أن يوصف بأنّه شاعر من شعراء الحرية ، فقد تشرب شعره رحيق الثورة والتمرد ، ورفع لواء الحرية إذ عدّها مطلباً لكل شعب مقهور ، لذلك تغنى هذا الشاعر بالإنسان الوطني الذي أحبّ وطنه وحمله في قلبه ، لتفصح صورة هذا الإنسان في قصائده عن صدق جارح ، ولتكشف أسرار شخصية هي نتاج مرحلة مهمة من الإحساس بالظلم والمشاعر الثرة المتعلقة بالأرض .

والبطل في شعر "نزار قباني" رجل وطني يحيا في واقع مضطرب ، وزمن ممزق مقطع الأوصال ، يعاني فيه الوطن من القهر والخيانة ، وتعاني الأرض فيه من كل ما حولها ، لذلك حلق الثوار في سماء الحرية ، متخذين من هذه الحياة موقف عزّة و شرف تقوده المبادئ والقيم الوطنية ، محاولين تجديد دماء الثورة في عروقنا.

وقد عظم "نزار" كل رجل وطني عشق الوطن والحرية ، فتغنى بذلك الجندي الصامد في جبهة المعركة ،الذي كرّس نفسه للدفاع عن وطنه وافتدائه بروحه ودمه ، والذي يراسل والده من أرض المعركة مطمئناً إياه على حرية الوطن ما دام لديه حماة أباة يدافعون عن كل شبر فيه، فيرسم صورة لذلك الإنسان العربي الأصيل الذي عشق الحرية وتربى على مبادئها ، وحمل حب الوطن بين ضلوعه، فلم يتردد لحظة بالتضحية بكل شيء في سبيله، يقول في قصيدة "**رسالة جندي من جبهة السويس**" من ديوان "**حبيبتي**" مصوراً بطولة الجندي العربي في جبهة السويس:

هذي الرسالةُ ،يا أبي ، من بُور سعيدْ

أمْرٌ جَديدْ

لِكَتيبَتِي الأولَى بِبَدْءِ المَعركةْ

هَبطَ المِظَلّيونَ خَلْفَ خُطُوطِنا

أمْرٌ جَديدْ

هَبطُوا كأرْتَالِ الجَرادِ ... كَسرْبِ غِرْبانٍ مُبِيدْ

النِّصفُ بعدَ الواحِدةْ

وعليّ أنْ أُنْهِي الرّسَالَهْ

أنا ذاهِبٌ لِمَهَمّتِي

لأرُدّ قُطّاعّ الطّريقِ ... وسَارِقِيْ حُرّيّتِيْ

لَكَ .. لِلجَميعِ تَحِيّتِيْ[1]

لم يصور "نزار" بطولة الجنود في هذه القصيدة وحسب ، بل صور لنا بسالة كل عربي شريف من أبناء الصعيد ، أبى إلا أن يحمل سلاحه ويشارك في دحر العدو الغاشم عن أرضه ، فاشتركت النساء والأطفال والشيوخ وكل من يستطيع تقديم أدنى مشاركة ، لتبقى الأرض حرة كريمة ، مؤكداً قداسة هذه الأرض العربية التي هي مصنع الأبطال، ومنبع الحرية منذ الأزل ، يقول متابعاً في القصيدة نفسها:

ماتَ الجَرادْ

أبتاهُ ماتَ كلُّ أسرابِ الجَرَادْ

لم تبقَ سيّدةٌ ولا طفلٌ ولا شيخٌ قعيدْ

في الريفِ ، في المدنِ الكبيرةِ ، في الصَّعيدْ

إلا وشاركَ يا أبي في حَرقِ أسرابِ الجَرادْ

في سَحْقِه... في ذَبْحِه حتى الوَريدْ

هذي الرّسالةُ ، يا أبي ، من بور سَعيدْ

من مَصْنَعِ الأبطالِ أكتُبُ يا أبي

من بور سَعيدْ[2]

و"نزار" لم يتخلّ يوماً عن دفع أجيال الشباب إلى ثورة الحريّة ، فيمجّد الجندي العربي متغنياً بتضحياته ليحث الشعب على الاقتداء به وانتهاج منهجه في التضحية والفداء ، وذلك عن طريق لومهم وتقريعهم على تقاعسهم ، مُستعيناً بالرموز الدينية ليظهر أهمية هذا الأمر، فهو يقول في قصيدة "**إلى الجندي العربي المجهول**" من أعماله السياسية مُخاطباً الجُندي العربي، ومحرّضاً على الاحتذاء ببطولاته وتضحياته:

لو يُقتَلونَ ... مثلما قُتِلتْ

لو يَعرِفُونَ أنْ يَموتُوا مِثلَما فَعَلتْ

لو مُدمِنُوا الكَلامِ في بِلادِنَا

[1] قباني ، نزار ، الأعمال الشعرية الكاملة ، 1| 454

[2] المصدر نفسه: 457

قد بَذَلُوا نِصْفَ الذي بَذَلتْ

لَمْ يَسقُطِ المَسيحُ مَذبوحَاً

على تُرابِ النّاصِرَةْ[1]

وما استخدام "نزار" للرمز الديني (المسيح) بأبعاده المقدّسة هنا إلا ليدين بشدة عملية التهاون في حماية الأرض نمدفوعاً من مشاعر قومية قوية ، وحرص شديد على حرية هذا الوطن .

كما احتفت قصائد نزار بأولئك القادة الأبطال الذين (خطوا التاريخ بحبر من دماء ، فرفضوا الذل والخضوع ، وأمسكوا بتاريخ أوطانهم ،يوجهونه حيث يجب أن يكون)[2] ، ومن أهم هؤلاء القادة العظماء القائد المصري جمال عبد الناصر ، فقد أحب نزار القائد جمال عبد الناصر ، وأعجب به ، فردد ذكره في أشعاره ، وخصه بالمديح ، وبكلمات الحب الوافرة ، منزهاً إياه عن الأخطاء ليرفعه إلى مستوى الأنبياء والصالحين ، يقول راثياً هذا البطل ، محملاً العرب مسؤولية موته، (فرفعه إلى مثال الحاكم العربي الشهم المتعاطف مع الرعية أمثال الخلفاء الراشدين الذين بويعوا وغُدر بهم، لتوقظ هذه الحادثة خط الغدر المتتابع في صفحات التاريخ، فالشعب المُنقاد للحقد يتوهم أنّه ينتقم من زعمائه، وإنما هو ينتقم من ذاته)[3]يقول في قصيدة "**جمال عبد الناصر**" من الأعمال السياسية:

قتلناكَ ... يا آخَر الأنبياءْ

قتلناكْ

ليسَ جديداً علينا

اغتيالُ الصّحابةِ والأولياءْ

فكمْ مِنْ رَسولٍ قتلْنا

وكمْ مِنْ إمامٍ ذبحناهُ

---

[1] قباني ، نزار ، الأعمال السياسية الكاملة ، 3| 321

[2] ينظر: الرجل القدوة في شعر نزار قباني، مجلة أوراق الثقافية، بيروت، لبنان بقلم ريتا يوسف حداد، ww.awraqthaqafya.com

[3] الحاوي، إيليا، نزار قباني شاعر المرأة ، 1| 143

وهو يُصلّي صَلاة العشاءْ[1]

(إذاً فهناك ضربٌ من الخمول الذي يترك القائد يموت غدراً، والشعب جاثم لا يؤتي بأي عمل، وليس خمود الشعب العربي ابن يومه وزمانه، إنّما هو خمول عريق لهم فيه مذاهب وتقاليد وطقوس، منذ أيام الدراويش المُعطّلي الحواس، والمترجّحين بين العقل والخبل)[2]

ولقد احتل القائد المصري جمال عبد الناصر مكانة مهمة في قلوب عربية كثيرة ، وأصبح رمزاً عربياً لا يضمحل الكلام عنه ، ونزار أعجب بسياسته وبشخصه القائد إلى درجة كبيرة فلم يرَ في قيادته أية ثغرة ، ولم يكلله في شعره إلا بالصلاح ،يقول في القصيدة نفسها راثياً حال الأمة العربية بعده ،فكل الأمجاد ماتت برحيل هذه المعجزة الخارقة التي لن يكررها الزمن :

أبَا خَالِدِ ، يا قَصيدةَ شِعْرٍ
تُقالُ
فيخضرُّ منها المَدادْ
إلى أينَ ؟
يا فارِسَ الحُلمِ تمضي..
وما الّشوطُ .. حينَ يموتُ الجَوادْ ؟
أُنَادي عليكَ.. أبا خالدٍ
و أعرف أنّي أُنادي بِوَادْ
وأَعرفُ أنّكَ لن تستجيبَ
وأنّ الخوارقَ ليست تُعادْ[3]

ومن الشعراء الذين تغنوا بالقائد جمال عبد الناصر وحرصوا على وداعه وداعاً جليلاً الشاعر العراقي **محمد مهدي الجواهري** ، الذي تغنى بهذا القائد ، الذي عاش ومات وهو يدافع عن العروبة فأحبه كل العرب ، فهو مناصر الأمة وحاميها ، وقد رثاه

[1] قباني، نزار ، الأعمال السياسية الكاملة ، 3| 355
[2] الحاوي، إيليا، نزار قباني شاعر المرأة، 1| 144
[3] قباني، نزار، الأعمال السياسية الكاملة، 3| 362

الجواهري في قصيدة همزية طويلة تُعدّ من أروع وأقوى ما جادت به قرائح الشعراء من قصائد وطنية ، تكافأت شرفاً مع مكانة هذا القائد العظيم في قلوب أبناء أمته العربية الذين أحبوه حبّاً جمّاً ، واتخذوا منه قائداً لثورتهم وكفاحهم القومي في سبيل استعادة حقوقهم ،يقول فيها:

أكبرْتُ يومَكَ أن يكون رثاءُ الخالدونَ عهدتُهم أحياءَ
يا أيُّها النّسرُ المُحلّقُ يتَّقي فيما يميلُ عواصفاً هَوجاءَ
أُثني عليكَ وما الثّناءُ عبادةٌ كم أفسدَ المُتعبّدونَ ثناءَ
قد كنْتَ شاخِصَ أمّة نسماتِها وهجيرَها والصّبحَ والإمساءَ
وأنرْتَ دربَ الجيلِ شاءتْ دربَه حِيَلُ الطّغاةِ عميَّةً تَيْهاءَ
قد كانَ حولَكَ ألفُ جارٍ يَبتغي هَدْماً ووحْدَكَ مَنْ يُريدُ بناء
لله صَدرُكَ ما أَشدَّ ضلوعَهُ في شدّةٍ و أرقّهنَّ رُخَاءَ [1]

وإذا قارنا بين القصيدتين نلاحظ تشابهاً نوعاً ما من ناحية الوصف ، فكلاهما حرص على إبراز صفات هذا القائد العظيم ، فهو خالد ومتفرّد لن يكرره الزمن، وهو حامي الأمّة وصائن عزّتها، وكلاهما عرض إنجازاته، وبيّن حال الأمة العربية من بعده ، وقد اتسمت كلا القصيدتين بالصدق وحرارة المشاعر ، فالجواهري في قصيدته الهمزية يمتدح إصرار القائد جمال عبد الناصر على المقاومة، وعدم رضوخه لأعداء الأمّة ، ويكبر فيه روح التّحدي والعطاء ، والدّفاع عن حقوق المظلومين الذين أحبهم وأخلص لهم ، مظهراً إياه بطلاً قومياً تاريخياً خالداً.

لكنّه بالغ في تصويره ، وقام بعرض إنجازات القائد، ومساعيه في سبيل الأمة تباعاً وبالتفصيل ، من دون أن ينسى إبراز جانبه الإنساني الرحيم الذي يترافق مع حزمه وصلابته في المعارك ، وكل ذلك ليبرز عظمة هذا الرجل وأهميته ، وإلا لما خلّده التاريخ ولكان كغيره من القادة والزعماء الذين غيبهم الموت .

وبالنظر في قصيدة "نزار" نلاحظ أنه حرص كما فعل الجواهري على إحاطة شخصية هذا البطل بقدر هائلٍ من التمجيد والإعجاب ، لكنّه عرض لسبب موته على خلاف

[1] الجواهري ، محمد مهدي ، ديوان الجواهري ، منشورات وزارة الثقافة والإرشاد القومي ، دمشق، د.ط، 1979، ص: 159

"الجواهري" الذي اكتفى بالوصف ، فنزار قباني صرّح في بداية قصيدته الرثائية بالإقدام المتعمّد من قبل العرب على قتل هذا البطل موجهاً إصبع الاتهام إلى جميع العرب بقوله : **قتلناك،** وقد قام بعرض رأيه بكل جرأة ، مؤكداً من خلال إطلاق صفة آخر الأنبياء عليه انتهاء مسيرة العمل والإصلاح بموته ، ليدين العرب وليؤكدّ أن الحال التي وصلوا إليها هي مما اقترفته أيديهم ليس إلا، محملاً إياهم مسؤولية ما حدث لعلّهم يعتبرون ويتعظون من تاريخهم .

وبذلك تكون غاية "نزار" من رثائه ليس فقط تمجيد هذا الرمز الوطني ، والتغني بإنجازاته ومسيرته النضالية ، إنّما أراد إصلاح الواقع العربي المتردّي من خلال إلقاء الضوء على المجريات ،وعرض المسببات لأخذ العبرة مما جرى .

ولعلّ مديحه في هذا القائد كان استثنائياً و منزهاً عن العيوب والأخطاء ، فبجله وقدّسه وغمر قلبَه حبٌ كبير له ، لأن هذا القائد المتواضع خرج من معاناة الشعب ، فلم يلتفت لنفسه ، ولم ينشغل كغيره بالمال والسلطة، بل كان جل همه تأمين عيش حر كريم لشعبه محققاً أمنيات كانت قبله صعبة المنال ، يقول متابعاً في القصيدة نفسها:

قَتلنَاكَ ..

يا حُبنا ويا هَوانَا

وكنْتَ الصّديقَ ، وكُنتَ الصّدوق

وكُنْتَ أبَانا

وحينَ

غَسلْنَا يَدَيْنا

اكتَشَفْنَا...

بأنّا قَتلنَا مُنانا

وأنّ دِماءَك فوقَ الوِسَادَةِ

كانَتْ دِمَانا [1]

[1] قباني، نزار، الأعمال السياسية الكاملة، 3|359

لقد تحسّر "نزار" على فقدان زعيم شعبي كبير تعلقت به الضمائر والقلوب ، منتمياً بمشاعره القومية الصادقة إلى هذه الجماهير المفجوعة بفقدان زعيمها ، مظهراً وطنية عميقة تأصلت في داخله منذ بداية نشأته في بيت دمشقي قديم ، لطالما حضن المناضلين الثوار ، ودعم قضايا الأمة العربية ، مُقْسِماً على حفظ عهد النضال ، واستمرار النهج في طريق الشهادة ، مخلداً الزمن العظيم الذي وجد فيه جمال عبد الناصر، هذا الزمن الذي لن يكرر، يقول في قصيدة بعنوان "**رسالة إلى جمال عبد الناصر**" من الأعمال السياسية :

يا أيُّها المُعلّمُ الكَبيرْ
كَمْ حُزنُنا كَبيرْ
كَمْ جُرحُنَا كَبيرْ
لكنّنا
نُقسِمُ بالله العَليّ القَّدِيرْ
أَنْ نَحفَظَ المِيثَاقْ
ونَحفظَ الثورةْ
وعندما يَسألنا أولادُنَا
في أيّ عَصرٍ عِشْتُمُ؟
في أيّ عَصرٍ مُلْهمٍ
في أيّ عَصرٍ سَاحِرِ ؟
نُجيبهمْ : في عصر عبدِ النّاصرِ
اللهُ ... ما أروعَها شَهادَةً
أن يُوجَد الإنسانُ في زمانِ عَبدِ النّاصِرِ[1]

لقد كانت صورة الوطني في قصائد نزار قباني خليطاً من الإنسانية والتحررية والوطنية والقومية فكان الشاعر أقرب إلى الرومانسية في عرض أفكاره والتعبير عن رأيه مندفعاً

[1] قباني ، نزار ، الأعمال السياسية الكاملة ، 3| 380

من عشق كبير لهذا الوطن المتألم ، محاولاً تحريك الضمائر العربية ، علها تسترد شيئاً من كرامتها وحقوقها المغتصبة.

نتائج البحث:

استطاع بحثنا هذا أن يصل إلى جملة من النتائج كان أبرزها:

- الرجل جزء لا يتجزّأ من عقل نزار قباني، وهو موضوع أساسيّ ظهرت معالمه منذ ولادة شعر نزار، وراحت تتبلور بفعل الظروف والتجارب فقد ارتبطت صورة الرجل في شعر نزار قباني ارتباطاً وثيقاً بمجتمعه الذي يعيش فيه ، وبالآفات التي يعاني منها هذا المجتمع من تخلف ، وفساد ، فكانت انعكاساً لهذه الآفات في لوحات فنية لا تخلو من الجرأة والعمق في عرض الفكرة ، و نقد هذا المجتمع من خلال عرضها ،في محاولة منه لتغيير هذا المجتمع عن طريق تعرية الأشياء ، وكشف الحقائق .

- عُرف عن نزار أنه شاعر الحرية، والتحرر، ولما كان الرجل جزءاً لا ينفصل عن فكره وعقله ، ولما كانت حريته مرتبطة بحريّة المرأة والمجتمع ،لذلك فقد حاول تحرير هذا الرجل حتى لا يكون رهين العُقد، وحتى لا يكون عبداً يباع في أسواق الجاهلية والتخلف، وحتى يستطيع خلق إنسان حرّ مثقف يشارك في حركة البناء والتطوير.

- كان شعر نزار أميناً على المادة التي تعامل معها ، مخلصاً لها ، لذلك كان شعره متقلب المواقف ، متعدد الصور بتنوع هذه المواقف ، فقد وُلِد شاعرنا في قلب المشكلة ، وتسللت لتظهر عبر أشعاره وقصائده ، وهو عندما يعرض لبعض صور الرجل كالرجل النرجسي إنما يريد أن يوضح سلبية العلاقة التي ربطت مثل هذا النوع من الرجال بالمرأة، وكيف كانت النظرة إلى تلك المرأة في ظل مجتمع هضم حريتها ، فأراد جعل الجماهير تدرك مشكلاتها النفسية والاجتماعية بواسطة الشعر .

- استطاع الشاعر من خلال تحوله من الصورة العامة إلى بعض الجزئيات، مثل تغنّيه ببعض القادة الأبطال، أن يكشف عورات الشعب وخموله، وبالتالي استطاع أن يوضح صورة الخزي العربي الذي يجعل من هذا الشعب قعيداً، ليس له حضور على مسرح الحياة أو الحضارة.

- أراد نزار قباني من خلال رثائه لبعض القادة العرب الكبار أن يصلح الواقع العربي المتردّي من خلال عرض الأسباب، والاتعاظ من الأحداث.

قائمة المصادر والمراجع:

المصادر:

الدواوين:

1. الجواهري ، محمد مهدي ، ديوان الجواهري ،أشرف على طبعه الدكتور عدنان درويش، منشورات وزارة الثقافة والإرشاد القومي ، دمشق، د.ط، 1979
2. قباني، نزار، الأعمال الشعرية الكاملة، ج1، منشورات نزار قباني، بيروت، لبنان،2002
3. قباني، نزار، الأعمال الشعرية الكاملة،ج2، منشورات نزار قباني، بيروت، لبنان ، ط9، 2002
4. قباني، نزار، الأعمال السياسية الكاملة،ج3، منشورات نزار قباني، بيروت، لبنان، د.ت
5. قباني ، نزار ،الأعمال الشعرية الكاملة ، ج 9، منشورات نزار قباني، بيروت، لبنان، ط1، 2002

المعاجم:

1. ابن منظور، جمال الدين محمد بن مكرم، لسان العرب، المجلد11، دار صادر، بيروت
2. الأصفهاني ، أبو الفرج ' الأغاني ، دار طلاس للدراسات والترجمة والنشر ، دمشق ، ج13 ، وتصح :الشيخ عبدالله العلايلي ، د.ط ، د.ت
3. علوش، سعيد، معجم المصطلحات الأدبية المعاصرة، دار الكتاب اللبناني بيروت، ط1، 1985
4. فتحي، إبراهيم، معجم المصطلحات الأدبية، التعاضدية العمالية للطباعة والنشر، تونس،د.ت. (نسخة إلكترونية) ط، د.ت
5. الكتبي ، محمد بن شاكر بن أحمد ، فوات الوفيات ، تحقيق :إحسان عباس ، دار الثقافة، بيروت، ج4، 1981

6. الكفوي، أبو البقاء، أيوب بن موسى الحسيني، الكليات معجم في المصطلحات والفروق اللغوية، تح: عدنان درويش ومحمد المصري ، مؤسسة الرسالة، بيروت، د.ط، 1998،ج1.
7. المقري ، أحمد بن محمد التلمساني ، نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب ، تح: إحسان عباس ، دار صادر ، بيروت، ج5 ، 1968
8. المعجم الوسيط، مجمع اللغة العربية ، القاهرة، ط3، 1993

المراجع:

1. ابن حميد، صالح بن عبدالله، وابن الملوح، عبد الرحمن بن محمد، نضرة النعيم في مكارم أخلاف الرسول الكريم، دار الوسيلة، السعودية، ط1، 1998،ج1
2. إبراهيم، جودت، التّناص والتّلاص في الشعر العربي الحديث والمعاصر، حمص، ط1، 2015
3. إبراهيم ، جودت ، نظرية الأدب والمتغيرات ، الناشر الدكتور جودت إبراهيم ،حمص ، ط1 ،1996
4. الحاوي، إيليا، نزار قباني شاعر المرأة، دار الكتاب اللبناني، بيروت ج1،ط1، 1973
5. حسن، ديب علي، نزار قباني رحلة الشعر والحياة، بيروت، المنارة، ط1، 2000
6. حسين، طه، من تاريخ الأدب العربي'العصر الجاهلي والعصر الإسلامي، دار العلم للملايين، بيروت، ط1، 1970
7. حيدوش، أحمد، شعرية المرأة وأنوثة القصيدة قراءة في شعر نزار قباني ، منشورات اتحاد الكتاب العرب، دمشق، 2001
8. الدقاق، عمر، فنون الأدب المعاصر في سورية، دار الشرق، سورية، ط1، 1971
9. الشيخ، غريد، أيام مع نزار قباني، النخبة للتأليف والترجمة والنشر، بيروت، لبنان، 2012
10. صالح، مأمون، الشخصية وبناؤها وتكوينها وأنماطها واضطرابها، دار أسامة للنشر، بيروت، د.ط، 2008
11. صبحي، محي الدين، نزار قباني شاعراً وإنساناً، دار الآداب، بيروت، ط1، 1964

12. الطالب، محمد هايل، قراءة النص الشعري لغة وتشكيلاً، نزار قباني نموذجاً تطبيقياً، دار الينابيع، دمشق، ط2، 2008

13. طوق، جوزيف الخوري، نزار قباني ثورة وحرية، دار نوبلس، بيروت، لبنان، ط2، 2005

14. فضل، صلاح، أساليب الشعرية المعاصرة، دار قباء، مصر، ط2، 1998

15. مجموعة من المؤلفين، نزار قباني شاعر لكل الأجيال، إشراف سعاد الصباح، إعداد وتحرير محمد يوسف نجم، دار سعاد الصباح للنشر والتوزيع، الكويت، ط1، 1998

16. المقالح ، عبد العزيز ، الشعر بين الرؤيا والتشكيل ، دار طلاس ، دمشق ، ط1 ، 1981

17. النابلسي، شاكر، الضوء واللعبة، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، ط1، 1986

18. نجم، خريستو، النرجسية في أدب نزار قباني، دار الرائد العربي، بيروت، 1983

19. نعامة ، سليم ، علم النفس في ميادين العمل والإنتاج ، دار أضواء النضال العربي ، طرابلس ، لبنان ، د.ط ، د.ت

20. النقاش، رجاء، ثلاثون عاماً مع الشعر والشعراء، دار سعاد الصباح، الكويت، ط1، 1992

21. النقيب، مازن، نزار قباني شاعر الحب والوطن، دار حازم للطباعة والنشر، ط1، 2002

22. الوصيفي، عبد الرحمن، نزار شاعراً وسياسيّاً، دار الحريري للطباعة، القاهرة، ط1، 1995

المجلات الإلكترونية:

مجلة أوراق الثقافية، الرجل القدوة في شعر نزار قباني، www.awraqthaqafya.com